يقولون ما لا يفعلون !!

إشراق هاشم العبسي

ترى هل صحيح أن الكاتب عندما يكتب مواضيع ومقالات يشار إليها بالبنان ، والشاعر عندما ينظم أبياتاً من الشعر تنفعل معها المشاعر ويهتز لها الوجدان ، والشخص البسيط عندما يقوم بمحاولات بسيطة يريد من خلالها أن يشار إليه بالموهبة - إنما هم بذلك يعبرون عن كينونتهم ومداخل أنفسهم ، ويجسدون شخصياتهم من خلال ما يقدمونه إلى قرائهم ؟؟ ، أم أنهم يقولون ما لا يفعلون ، ويكتبون ما لا يطبقون ، وفي كل واد يهيمون ، دون أن ترتبط سواء كتاباتهم أو أشعارهم أو مقالاتهم بذوات أنفسهم ، ومكنون مشاعرهم ؟! .

فقد نقرأ مقالاً نعرف شخصية كاتبه تمام المعرفة ، ونكون عند قراءتنا لمقاله هذا مستغربين ، لأنه لا يمت بأي صلة لشخصيته وأفكاره !! .

فمثلاً قد نجد شخصاً يتكلم عن الحرية الشخصية ، وبالذات حرية المرأة التي يدعو إليها - بزعمه - بكل ما أوتي من قوة ، فيقنع ذاك ، ويحادث ذلك ، ويتكلم هنا ، ويثرثر هناك ، وتراه يعود في آخر اليوم منهك القوى ، تعب اللسان ، منهدم البنيان ، فاقد الاتزان ؛ لأنه تعب من قول ما لا يفعل ، ومن إقناعه بما ليس هو مقتنعاً به من تغييره لجلده كل صباح ، ولبسه إياه كل مساء ، بمجرد دخوله منزله ، والتقائه بزوجته وبناته ، تراه يرمق تلك ، ويسأل عن تلك ، وينظر إلى أخرى نظرات تحذير من أن يصدقن ما يكتبه عن الحرية التي يدعو إليها في كتاباته .

فهو يدعو الناس ، هو يدعو كل النساء ، هو يدعو كل الفتيات إلى الحرية ، شريطة أن تكون أسرته ليست من ضمن هؤلاء جميعاً ، لقناعته أن الحرية التي يدعو إليها ، ليست هي الحرية التي تخرج المرأة من حبس المفاهيم الخاطئة ، إلى فضاء المفاهيم الصحيحة ، المفاهيم التي جاءت بها شريعة الإسلام العظيم ، ونزلت من لدن حكيم عليم ، وإنما هي حرية تخرج بالمرأة عن صيانتها ورفعتها ، إلى ما فيه استرخاصها وابتذالها ، وهو أمر قد يرضاه من غيره لنفسه ، ولكنه يأباه من نفسه لغيره ، وإن اكتسى ثوب الحرية اللامع ، واتصف بوصفها الخادع ، لذلك فهو يدعو الأخريات إلى حريته ، ويحذر أهل بيته من دعوته !! . ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ .